عَلاقة اللفظ بالحركات الإعرابيّة في القرآن الكريم ودلالته

د. فائز عبد الملك محسن

الجامعة المستنصرية / كلية التربية

الملخص:

تُعَدُّ العلاقة بين اللغة العربية والقرآن المجيد علاقة متينة بدأت منذ أوائل نزوله والتفكر في معانيه والتدبر ببلاغة الكلمة فيه، وكما نعرف أنَّ أساليب التركيب في القرآن الكريم غاية في الدقة ولها مقاصد بكل تفصيلاتها، فقد جاء القرآن الكريم بجديد في اللفظ والمعنى، والغرض والأسلوب، فقد ملأ العالم حين نزوله بالروعة والبلاغة والسلاسة في اللفظ والمعنى.

وقد صار القرآن الكريم مثار جدل بين العلماء في اللغة العربية وبين المشككين والمتقولين بعدم وجود البلاغة والمقصدية في اللفظ والتركيب القرآني، فقد جاء هذا البحث ليعزز ما جاء به العلماء والباحثين من قبل في توطيد قواعد النحو القرآني وتثبيتها ومدى بلاغته وبيان عذوبة ألفاظه وتماسك عباراته.

وفي هذا البحث تم رصد الكثير من النكات البلاغية والسياقية التي يفرضها التركيب النحوي المقصود بحركاته وسكناته من قبل المتكلم لإفهام المتلقي بدقائق ما يدور في ذهنه وما يريده من معانٍ دقيقة ومقاصد تعبيرية.

الكلمات المفتاحية : المتقين، الصالحين ،الدلالة، الإعراب، النحو

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ...

لقد خلق الله الإنسان وميزه عن باقي المخلوقات، وذلك عن طريق مَلَكَة الكلام والتخاطب مع أبناء جنسه من البشر وكما يقال: اللسان آلة البيان وبه نحى الإنسان مناحي شتى، وإنَّ سيد البلاغة وبرهان البيان عندنا هو القرآن الكريم الذي يعد خطابًا حجاجيًا يمثل ركيزة النصوص الموجهة المتضمنة للمقصدية والنقاش والجدل.

لا يعد هذا البحث هو الأول في هذا الميدان الذي يختص بدراسة الإعجاز البياني وقصدية اللفظة في القرآن الكريم، لكن الذي أُريد الوصول إليه في بحثي هذا بيان دقة اختيار المفردة ودراستها

داخل التركيب النحوي وربط هذا التركيب بالنصوص القَبليَّة والبَعديَّة للفظة موضع الدراسة، وكما نعلم بأنَّ التعبير القرآني لم يستحوذ على عقول الناس وعواطفهم عن طريق الإيمان به فقط، بل كان الفضل في ذلك لبلاغة الكتاب المجيد وحسن نظمه ودقة بيانه وانسجام نصوصه.

وللمطلع على تفاسير القرآن الكريم قديمها وحديثها يجد أنَّها قد تركز على جانب بعينه مع ترك الجوانب الاخرى التي لا تقل أهمية عما ذكروه في تفاسيرهم، إذ تتراوح التفاسير القرآنية بين الرواية والقصص والبيان والإعراب مع إهمال الجوانب التداولية وعدم اعتماد الربط بين النصوص للخروج بصورة بيانية واضحة للمتلقي، ويستثنى من ذلك تفسير(الكشاف) قديمًا وتفاسير الدكتور فاضل السامرائي والدكتورة بنت الشاطئ وإن كانت محاولاتهم لم تكتمل لتشمل الكتاب العزيز بمجمله.

أردت في بحثي هذا الوقوف على جزء من بلاغة القرآن الكريم ودقة معانيه من خلال دراسة الآيات المباركة التي تختص بوصف جانبين مهمين يُشكلان أعمدة الصراع بين فريقين مختلفين هما (الأخيار والأشرار) وتباين الآيات في وصفهما بألفاظ مختلفة بين آية وأخرى بالرغم من أنَّ كل فريق منهم يتصف بصفات عامة مشتركة، وهذا ما سأبينه في موضوع البحث إنْ شاء الله تعالى.

المبحث الأول:

نرى الكثير من الآيات القرآنية تتناول وصف ما أسميتهم في المقدمة (بالأخيار) بنعوت وأوصاف تختلف بين آية وأخرى ومن سورة إلى أخرى وهنا يتبادر السؤال إلى الذهن، لماذا تختلف أوصاف هؤلاء من حين لأخر علمًا أنهم يشتركون بصفة الإيمان بالله جلَّ شأنه وأنَّ مصيرهم المحتوم هو الفوز بالجنة وبرضا الله تعالى؟ وسنحدد الإجابة على هذا من خلال البحث والتحليل للنصوص موضع البحث.

1-الصالحين والصالحون:

نجد أنَّ اللفظتين قد وردتا بالرفع (3) مرات وبالنصب والجر(23) مرة، أما في حالة الرفع فقد وردت في الآيات الكريمة الآتية: "**وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**"[1].... "**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**"[2]...."**وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا**"[3].

جاءت هذه الآيات في سور(**الأعراف والأنبياء والجن**) ففي الآية الأولى نجد أنَّ الحديث يدور حول **بني إسرائيل** ومسيرتهم مع الرسل والكيفية التي يتعاملون بها معهم من جانبي الطاعة والعصيان لأوامر السماء، ويتضح من هذه الآية أنَّهم لاقوا الفرقة والشتات وأصبحوا أُممًا وجماعات متفرقة وهذا نتيجة حتمية لأعمالهم وسوء سريرتهم، إلا أنَّ هذ الضياع قد أسهم في إخراج طائفة منهم يتصفون بالصلاح أو ما هو دون درجة الصلاح.

أما في الآية الثانية التي جاءت في سياق (سورة الأنبياء) وقد سبقها حديث مفصل تناول سيرة الأنبياء عليهم السلام وذكر مناقبهم وأحوال ابتلائهم وكيفية النهاية التي وعد الله عباده بها بأنْ يكون الأمر بيد الصالحين، وفي (سورة الجن) وردت الآية الثالثة التي تبين لنا الحوار الذي دار بين قوم من الجن بعدما سمعوا القرآن المجيد.

وهنا تتضح دلالة الجملة بمقدار الألفاظ التي تتركب منها الجملة وما يتعلق بها من إشارات وعناصر لغوية وتتحد دلالتها بمدى امتداد الربط المعنوي في السياق المتصل، ولو تأملنا المشتركات الدلالية بين تلك الآيات المباركة لوجدنا أنَّ الحديث يدور فيها حول مسألتين:

الأولى: ذكر مفردة (**الأرض**) في آيتين بصورة مباشرة وذكرها قبل وبعد في سورة الجن: "**وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (10) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (11) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا**"[4].

يقول عبد القاهر الجرجاني(471هـــ) :"وجملة الأمر أنَّا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكن نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقًا معناها بمعنى ما يليها"[5].

أي أنَّ وقوع اختيار المتحدث على لفظة (الصالحون) في الآيات آنفة الذكر بالرفع مع اقترانها بلفظة (الأرض) لم يأتِ على نحو الصدفة أو التراتبية اللغوية الحتمية بالرفع أو النصب أو الجر؛ إنَّما وقع هذا الاخيار لعلة بينة وسبب قَيّم.

يقول الدكتور حسام البهنساوي: "إنَّ نحاة العربية الأوائل، مثل الخليل وسيبويه، قد ميزوا بين مستويين من مستويات الدراسة النحوية: المستوى الأول ويتمثل في رصد الأداء وتتبعه، وتمثله القواعد المجردة؛ التي يغلب عليها الطابع التعليمي، والمستوى الثاني: ويتمثل في علاقة المبنى بالمعنى، وتمثله العلاقات التركيبية المختلفة بين الكلمات داخل الجملة أو بين الجمل وبعضها".[6]

حيث نجد أنَّ جميع النحاة الأوائل كانت لهم عناية خاصة في الربط بين العلامة الإعرابية وكشفها عن المعاني والدلالة، كما اعتنوا بأسرار التراكيب وأساليب اللغة في تحليل دقيق غير مكتف بالعلامات الإعرابية من دون ربطها بدلالاتها اللغوية والبلاغية، ويقول الدكتور عبد النبي هماني: "تعود الجودة الفنية إلى القدرة على تشكيل الألفاظ والمعاني والتراكيب، في إطار قوانين اللغة، وإمكاناتها الإبداعية، في نسيج مسبوك بعناية فائقة، دون الإغفال عن فاعلية النحو في هذا النسيج، وفي تحقيق الجوانب الدلالية، ذلك أنَّ غيابه يؤدي حتمًا إلى غياب هذه الجوانب وتصبح الكلمات شتاتًا مبعثرًا بعد إنْ كانت تشكل نسقًا ابداعيًا"[7].

ومن هذه النصوص التي وردت نستطيع أنْ نخرج بنتيجة بينة وهي أنَّ العربية إنْ جاءت بعلامة إعرابية محددة فهي لغاية دلالية ومغزى معنوي يفهم منه المتلقي المعاني الخفية

في نفس المتكلم وما تضمره الحركة الإعرابية من دلالات ومعانٍ، إذ نجد أنَّ ارتباط حركة الرفع(الواو) في لفظة (الصالحون) إنما جاءت مقترنة بالأرض لإيصال حالة ذهنية بعينها وهي أنَّ صلاح الأرض ورفعتها باتباع طريق الصلاح إذ تناسق المعنى الدلالي للرفعة والصلاح مع حركة الرفع في الآيات الثلاث، يقول الدكتور خليل بنيان العطية: "إنَّ جانبًا من إعجاز القرآن الكريم قائم على ظاهر ما يعتري الألفاظ من حركات إعرابية، وما تشتمل عليه هذه الحركات من دلالات خفية أو ظاهرة، وقد تَرد في السياق إشارات تهدي إلى هذه الدلالات"[8].

ونجد أنَّ الزمخشري قد أشار إلى مجموعة من دلالة الحركات الإعرابية في الكلام العربي وذلك حين وازن بين قراءتي الرفع والنصب في قوله تعالى: "**إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ**"[9]، إذ بين أنَّ التحول بها من النصب إلى حالة الرفع على الابتداء وذلك لدلالة الرفع على أنَّ النبي إبراهيم عليه السلام قد حياهم بأحسن من تحيتهم لأنَّ الرفع دال على معنى ثبات السلام في نفسه من دون تجدده وحدوثه[10].

إنَّ كل حركة في القرآن الكريم إنما وضعت بمقدار وقصد وأنَّ التنبه على مثل هذه الإشارات البلاغية التي هي من دلائل إعجاز القرآن الكريم التي تدل على دقة أحكامه، وقوة نظمه، كما نجد اقتران لفظة (الصالحون) بالتفرقة والشتات وتقطع السبل بين الأمم والأقوام، يقول الزمخشري: "كانت طرائقنا طرائق قدداً على حذف المضاف الذي هو الطرائق وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه؛ والقدّة من قدّ، كالقطعة من قطع، ووصفت الطرائق بالقدد، لدلالتها على معنى التقطع والتفرّق"[11]. وأشار إلى ذلك في سورة (الجن) إلى المقتصدين في الصلاح غير الكاملين فيه، أو الكافرون كُنَّا طَرائِقَ قِدَداً أي أهواء مختلفة، وفرقا شتّى، وهذا بيان للقسمة قبل أي كنا مثلها أو ذويها، و(الطرائق):جمع طريقة، وهي طريقة الرجل ومذهبه و(القدد) الضروب والأجناس المختلفة، جمع (قدّة) كالقطعة، وَأَنَّا ظَنَنَّا أي علمنا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ أي إنَّ أراد بنا سوءا وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً أي إن طلبنا وهذه صفة أحوال الجن، وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم، منهم أخيار وأشرار، ومقتصدون، وأنَّهم يعتقدون أنَّ الله عزّ وجلّ عزيز غالب لا يفوته مطلب، ولا ينجي عنه مهرب.

فالهجرة والاغتراب والابتعاد عن الديار والأهل لكفيل ببيان الصالح وما هو دون ذلك من منزلة عند الله جلَّ شأنه، كما حصل مع النبي الأكرم(***صلى الله عيه وآله وسلم***) في هجرته من مكة إلى المدينة وكيف انقسم القوم على نصرته وخذلانه، فهذا المعنى الخفي والدلالة النفسية للمتكلم تعبر عن مقصد بلاغي واضح جلي وهو ارتباط فئة (الصالحون) بحالة الهجرة والفرقة والشتات، وأنَّ من دواعي الصلاح للإنسان هو تمحيصه من خلال ابتلائه بعدد من العقبات ومن ضمنها الفرقة والضياع على الأرض.

وبانتقالنا إلى لفظة (الصالحين) بالنصب والجر التي وردت كما ذكرنا (23) مرة وفي مواضع مختلفة، إذ أنَّ للعلامة الإعرابية دلالة خاصة للألفاظ، وتتضح دلالة الجملة العربية بمقدار الألفاظ التي تتركب منها الجملة وما يتعلق بها من إشارات وعناصر لغوية وإعرابية ومدى تناسق وانسجام الربط المعنوي في السياق المعني.

ونلحظ اقتران (الصالحين) بحرف الجر(من) في أغلب الموارد التي جاءت بها اللفظة، ولحرف الجر هذا دلالات متعددة ذكرتها جميع كتب النحو العربي قديمها وحديثها، ومن تلك المعاني إفادة معنى (بيان الجنس) أي أنَّ كل من أراد الباري عز وجل وصفه ضمن خصوصية محددة وصفات معينة فقد بين أنَّه من جنس الصالحين الذين يتصفون بصفات خاصة لا يشاركهم بها أحد إلا من كان في دائرة الصلاح والاصلاح.

كما نجد أنَّ لفظة الصالحين قد وردت (16) من مجموع (23) جاءت مختصة في وصف الأنبياء عليهم السلام ومع هذا التخصيص نلاحظ أنْ أغلب تلك الموارد هي في موضع الشدة أو الدهشة أو دلالة على أمر صعب لا يتوافق مع قوانين البشرية نواميس الطبيعة التي جبل عليها البشر، ومن تلك الأمثلة ما جاء في قصة النبي (زكريا) عليه السلام: "**فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ**"[12]، ففعل الانجاب مع وجود امرأة عاقر ورجل كبير السن لا يتناسب مع الحقائق المادية وإنَّ أمر الغيب وحده هو من يحقق تلك المعجزة، وكذلك ما جاء في قصة النبي (عيسى) عليه السلام: "**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ**"[13].

إذ يتبين جليا أنَّ التكلم في المهد ليس مما يسير مع جبلت عليه عامة الناس، ومن تلك الأمثلة التي وردت نستطيع المواءمة بين الحركة الإعرابية للفظة(الصالحين) بالنصب أو الجر والمعاني الخفية التي وردت في الآيات القرآنية واقترانها بالشدة والمعجزة والكد والنصب، إذ أنَّ تكرار العلامة الإعرابية مع آيات وصف الأنبياء عليهم السلام وما عانوه من مكابدة في حياتهم لم يأتِ بصورة اعتباطية بل كان سرًا من أسرار البلاغة القرآنية المرتبطة بالحركات الإعرابية وما تحمله تلك الحركات من دلالات معينة تتناسب والسياق المذكورة فيه.

ويرى سيد قطب أنَّ القرآن الكريم لم ينقل الحالة الذهنية لأجل الحالة الذهنية إنما نقل حالة ذهنية مستخدمًا التصوير لترتسم هذه الحالة على نحو مخصص، وكأنها بدت محسوسة على حين أنَّ الحالة الذهنية في الأصل حالة تجريدية، والحالة الذهنية في الأصل لا تخاطب إلا الذهن المجرد، والمنطق العقلي، كما أنَّ طريقة البلاغة القرآنية تجعل من التصوير وسيلة من الجرد إلى المحسوس وذلك عن طريق استعمال الأدوات اللغوية المختلفة ومنها الحركات الإعرابية وبهذا فإنَّ اللغة القرآنية تخاطب الذهن والعقل والوعي والحس والوجدان الإنساني بطريقة لطيفة وبأدوات لغوية واضحة.[14]

إذ نجد أنَّ المعنى الذهني المتحقق من الآيات القرآنية التي جاءت موضع البحث والدراسة توضح أنَّ فئة (الصالحين) مرتبطة بالدرجة الأولى بالأنبياء، كما أنَّها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بحدوث الشدة والمعجزة وخوارق الطبيعة البشرية وارتباطها بالغيب، ومن كل ما تقدم يتضح لنا أنَّ صفة الصلاح لا تنطبق ولا تتيسر إلا بعد جهد وعناء والمرور بمحن وتمحيص في الحياة كي يشمل من يجتاز هذا الاختبار بصفة الصالح، يقول جلَّ شأنه: "**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**"[15]... "**يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**"[16]، أي أنَّ الصلاح لا يأتي إلا بعد تحقق مراتب محددة ودرجات بينة أولها طاعة الله وطاعة رسوله ثم ينعم الله تعالى على الصالح بالنبوة والتصديق والشهادة والإيمان باليوم الآخر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يصل مرحلة الصلاح ويكون في دائرة الصالحين بعد هذه السلسة الطويلة من الاختبارات.

2- المتقين:

تُعَدُّ التقوى من أهم الصفات التي يحرص المؤمن على الاتصاف؛ لأنَّها السبيل لحمايته من عقاب الله، فالتقي هو من يبتعد عن المعاصي ويطبق أحكام الله وقد بين الباري عزَّ وجلّ أنَّ الجنة هي جزاء هذه الفئة من المؤمنين، وردت لفظة المتقين في القرآن الكريم (24) مرة بالنصب والجر ووردت (6) مرات بالرفع.

ويبدو من السياق الذي وردت فيه لفظة المتقين أنَّها ترتبط بعدة مفاهيم لا يمكن لأي مفردة أنْ تنطبق عليها تلك الصفات وتلك المفاهيم القرآنية، فقد اقترنت هذه اللفظة بتطبيق الأحكام الشرعية وإقامة الحدود والإيفاء بالعهود، قال تعالى: "**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**"[17]. وقال تعالى: "**الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**"[18] "**وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** "[19] "**بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**"[20] "**إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**"[21] "**كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**"[22] "**وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**"[23] "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**"[24].

إذ نجد أنَّ كتابة الوصية في حال حضور الموت للإنسان إنَّما هو من صفات المتقين لما تحمله هذه الصفة من حل لكثير من المشكلات الاجتماعية والأسرية المتعلقة بالإرث وغيره من المتعلقات، ولم يذكر القرآن الكريم لفظة أخرى مع تطبيق هذا الحكم الشرعي.

كما نجد في النص القرآني الثاني أنَّ الله جلَّ شأنه قد فرض محددات بعينها على من يتبع شريعة النبي والدين الإسلامي في مسألة القتال وإقامة الحدود، إذ أنَّه لم يذكر صفة أخرى من صفات المؤمنين قَطُ كالصلاح أو الطهر أو الإيمان إلا أنّهُ قد ذكر مفردة التقوى حصرًا وقرنها بتطبيق حدود الله جلَّ شأنهُ.

وكذلك جرى الشأن في النصوص المتبقية بين تطبيق حدود الله تعالى والإيفاء بالعهود والمواثيق مما ينبهنا إلى دقة اختيار المفردة القرآنية وخصوصية دلالتها ورد جميع الدعوات التي تتهم كتاب الله المجيد بعشوائية اللغة وعدم الدقة في اختيار السياقات الدلالية والوصول إليها عن طريق استخدام اللغة، وهنا نستشهد بقول الفخر الرازي: "ظَهَرَ بِمَا قُلْنَاهُ أَنَّهُ لَا مَعْنَى لِلْكَلَامِ اللِّسَانِيِّ إِلَّا الِاصْطِلَاحُ مِنَ النَّاسِ عَلَى جَعْلِ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ الْمُقَطَّعَةِ وَالْحُرُوفِ الْمُرَكَّبَةِ مُعَرِّفَاتٍ لِمَا فِي الضَّمَائِرِ، وَلَوْ قَدَّرْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ تَوَاضَعُوا عَلَى جَعْلِ أَشْيَاءَ غَيْرِهَا مُعَرِّفَاتٍ لِمَا فِي الضَّمَائِرِ لَكَانَتْ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ كَلَامًا أَيْضًا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنِ الْكَلَامُ صِفَةً حَقِيقِيَّةً مِثْلَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ، بَلْ أَمْرًا وَضْعِيًّا اصْطِلَاحِيًّا، وَالتَّحْقِيقُ فِي هَذَا الْبَابِ: أَنَّ الْكَلَامَ عِبَارَةٌ عَنْ فِعْلٍ مَخْصُوصٍ يَفْعَلُهُ الْحَيُّ الْقَادِرُ لِأَجْلِ أَنْ يُعَرِّفَ غَيْرَهُ مَا فِي ضَمِيرِهِ مِنَ الْإِرَادَاتِ وَالِاعْتِقَادَاتِ، وَعِنْدَ هَذَا يَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ كَوْنِ الْإِنْسَانِ مُتَكَلِّمًا بِهَذِهِ الْحُرُوفِ مُجَرَّدُ كَوْنِهِ فَاعِلًا لَهَا لِهَذَا الْغَرَضِ الْمَخْصُوصِ، وَأَمَّا الْكَلَامُ الَّذِي هُوَ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِالنَّفْسِ فَهِيَ صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ كَالْعُلُومِ وَالْقُدَرِ وَالْإِرَادَاتِ"[25]، إذ أنَّ الألفاظ القرآنية قد وضعت لمقاصد بعينها نحوية وتركيبة ودلالية ولم يكن للسجع أو الحشو أو ما شابه علاقة لاختيار لفظة ما في موضع محدد من قبل الباري عز وجلّ شأنه، وننظر من سياق الآيات القرآنية المتعلقة بلفظة (المتقين) أنَّ الله تعالى قد خصهم بميزة أخرى انفردوا بها عن بقية المؤمنين الذين ذكرت صفاتهم في القرآن الكريم، **قال تعالى:** "**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**"[26]"**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ**"[27] "**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ**"[28] "**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ**"[29] "**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ**"[30] إذ لم يرد هذا التأكيد وتعدد الصفات وتنوعها والتبشير بالنعيم مع غير المتقين من درجات المؤمنين في القرآن الكريم.

المبحث الثاني:

من أجل أنْ يكتمل التوجيه النحوي ويتسق على أسس ملحوظة في التحليل لابد من التطرق لجميع مقومات التركيب المعنوية واللفظية والحالية، إذ نحاول في هذا المبحث أنْ نُعرج على الألفاظ المقابلة لألفاظ **(الإيمان، والتقوى، والصلاح)** التي درسنا دلالتها في المبحث الأول آنف الذكر، وقد تعددت ألفاظ العقاب والوعيد ووصف من خرج عن شريعة الله تعالى

مثل:(**الكافرين والجاحدين والمنافقين والفاسقين والمعاندين** وغيرها) وسنقف عند نموذج من هذه الألفاظ وبيان مدى دقتها وسر اختيارها من الجانبين اللغوي والقصدية الدلالية في القرآن الكريم.

1-المتكبرين:

وردت هذه اللفظة في التنزيل العزيز ثلاث مرات في سور مختلفة، قال تعالى: "**فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**"[31] "**قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**"[32] "**ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**"[33].

إذ نرى أنَّ الباري ﷻ قد خص هذه المجموعة بصفات وألفاظ محددة لم تتكرر مع غيرهم في السرد القرآني، ونلاحظ اقتران لفظة المتكبرين في جميع هذه الآيات المباركات بلفظة (**مثوى**) ولابد لنا من الوقوف على هذه اللفظة لغرض بيان مدى ما تحمله من دلالة وقصدية أرادها الله سبحانه وتعالى، جاء في لسان العرب: "ثوا: الثَّواءُ: طولُ المُقام، ثَوَى يَثْوِي ثَواءً وثَوَيْتُ بِالْمَكَانِ وثَوَيْته ثَواءً وثُوِيّاً مِثْلُ مَضَى يَمْضِي مَضاءً ومُضِيّاً؛ الأَخيرة عَنْ سِيبَوَيْهِ، وأَثْوَيْت بِهِ: أَطلت الإِقامة بِهِ. وأَثْوَيْته أَنا وثَوَّيْته؛ الأَخيرة عَنْ كُرَاعٍ: أَلزمته الثَّواء فِيهِ. وثَوَى بِالْمَكَانِ: نَزَلَ فِيهِ، وَبِهِ سُمِّي الْمَنْزِلُ مَثْوىً. والمَثْوى: الْمَوْضِعُ الَّذِي يُقام بِهِ، وَجَمْعُهُ المَثَاوِي. ومَثْوَى الرَّجُلِ: مَنْزِلُهُ. والمَثْوَى: مَصْدَرُ ثَوَيْت أَثْوِي ثَواءً ومَثْوىً. وَفِي كِتَابِ أَهل نَجْرَان: وَعَلَى نَجْرَان مَثْوَى رُسُلي أَي مسكَنُهم مُدَّةَ مُقامهم ونُزُلهم. والمَثْوَى: المَنْزِل"[34].

فيتبين لنا من المعنى المعجمي لمادة (ثوا) حيث يذكر أهل اللغة أنَّها تدل على المنزل أو المكان الذي يقيم فيه الإنسان، وكذلك فيها دلالة على الانحسار في المكان والانزواء ويكون الإنسان في المثوى قليل الحركة مثل المنزل والبيت والحجرة دلالة على محدودية الحركة على عكس الفضاء الواسع الذي يستطيع فيه الشخص الحركة والمشي دون حدود ودون قيود، ولفظة ثوى قريبة من (توى) والتوى هو الخسارة والموت والهلاك[35].

ولم ترد لفظة ثوى لوصف أهل الجنة بل كانت حصرًا لأصحاب النار ووصف حالهم، لأنّ الجنة واسعة ولامتناهية بعكس النار التي تكون مقيدة الحركة والمساحة، فاقتران لفظة المتكبرين بلفظة ثوى لها مدلولات واضحة وجلية للمتفكر والباحث، إذ يُعَدُّ الترابط النصي المتماسك أحد أسس النص وأحد أركان البلاغة، إذ يُعَدَّ النص بُنية مركبة متماسكة ووحدة كلية شمولية وهي ذات نسق داخلي بين عناصره علاقات منطقية نحوية ودلالية[36].

فالنص القرآني شبكة من العلاقات الداخلية من روابط لغوية تركيبية وزمانية وعلاقات لفظية تعرب عما يدور في داخل النص وما يجول في خاطر قائله. لقد اختار الله عز وجل لفظة (المتكبرين) دون غيرها لنعتها بصفات وإشارات لم تتكرر في غيرها من صفات المخالفين لشريعة الله عز وجل0 كما نجد أنَّ لفظة (المتكبرين) في الآيات السابقة قد جاءت في جميع

حالاتها الإعرابية بعلامة (النصب) وفي ذلك دلالة على حدوث الصفة وتجددها في المنصوبات إذ لم يمكن لأصحاب التكبر أنْ يصلوا لمرحلة التكامل الشمولي للكبر والكبرياء لأنَّها من صفات الله سبحانه ولا يمكن أنْ يشترك معه أحد من خلقه في تلك الصفة، فلم يذكر القرآن الكريم لفظة (المتكبرون) بالرفع مطلقاً لا من باب الصدفة أو من دون قصد دلالي وإنَّما لإثبات إنَّ الإنسان مهما حاول أنْ يُناجِز الله تعالى في صفاته فلن يفلح في ذلك البتة وسيبقى في حال التجدد والمحاولة والصعود والنزول من دون الوصول لمبتغاه في لبس رداء التكبر، ونجد أنَّ هذا المعنى يتناسب في حركته الإعرابية مع النصب لا مع الرفع، يقول سيبويه: "وإنْ شئت نصبتَ فقلت: له عِلْمٌ علمَ الفقهاءِ، كأنَّك مررت به في حال تعلُّمٍ وتفقُّهٍ، وكأنّه لم يَستكمل أن يقال: له عالِمٌ"[37].

وإنَّ من دلالات النصب في العربية التخصيص والتبيين والتوكيد للسياق الذي يسبق اللفظ المنصوب فالحال يوضح معنى صاحب الحال والمُمِيِّز يبين المُمَيَّز ويزل إبهامه وهكذا بقية المنصوبات من الأسماء.[38]

وكذلك فإنَّ النصب يكون قرينة على معانٍ مجازية مثل : المدح والذم والشتم والتوبيخ والدعاء والاختصاص وغيرها، يقول سيبويه: "وإنْ شئت نصبتَ على الشتم، وذلك قولك: اصنعْ ما ساء أباك وكرِه أخوك الفاسقين الخبيثين"[39]، وقال أيضًا : "وزعم الخليل رحمه الله أنَّ قولهم: بك اللهَ نرجو الفضلَ، وسُبحانك اللهَ العظيمَ، نصبُه كنصب ما قبله، وفيه معنى التعظيم"[40].

نجد أنَّ كل ما ذكرناه من نصوص وقرائن دلَّ على أنَّ اختيار الحركة الإعرابية في اللغة العربية لم يأتِ بشكل عفوي، إنَّما جاء منسبًا لما تحمله الحركات الإعرابية من معانٍ ودلالات خفية تحملها بين طياتها فالرفع والنصب والجر والجزم علامات على دلالات وإشارات وعلائق لفظية وذهنية ونفسية تدور في فكر المتكلم وما يريد أن تنطوي عليه ألفاظه من أفكار يريد أنْ يوصلها للمتلقي، فلم يخرج القرآن الكريم عن تلك المعطيات السياقية والدلائل البلاغية في ما جاء به من نصوص وسياقات.

الخاتمة:

استطعنا عن طريق تحليل ودراسة بعض المفردات والألفاظ القرآنية الكريمة التي جاءت في وصف مجموعة من الناس في الحياة الدنيا وعلى طرفي النقيض بين الصالح والمفسد والكافر، أنْ نوضح أنَّ الله تعالى قد جاء بهذه الألفاظ بقصد محدد ودلالة معينة ولم تكن الصدفة أو الاعتباطية هي الفيصل في وضع هذه الألفاظ للدلالة على المعاني التي توصل إليها البحث في ما سبق.

حتى أنَّ الحركات الإعرابية التي جاءت عليها هذه الألفاظ كانت متناسقة متسقة مع ما أراده الله تعالى من دلالة خفية تكمن في الرفع والنصب والجر فكان الاستعمال دقيقًا واضحًا لا

يمكن لأي لفظة أخرى أو حركة إعرابية أنْ تقوم مقام ما جاء في الآيات القرآنية المباركة موضع البحث.

فقد تبين أنَّ السياق واختيار اللفظ وحركته الإعرابية كل هذه العوامل وغيرها هي التي تكون مسؤولة عن تجلي المعنى ووضوح الدلالة، إذ لا يمكن لأي من تلك القرائن القيام بهذه المهمة من دون الاعتماد والتنسيق فيما بينها لغرض بيان المعنى ونسج التركيب للوصول إلى غاية اللغة وقصد المتكلم في التواصل والإفهام.

وفي كل ما سبق من نصوص وآراء للعلماء النحويين يتبين لنا جليًا أن الباري جلَّ شأنه قد اختار اللفظ المناسب مع ما يناسبه من حركة إعرابية لوصف حال هؤلاء المجموعة من البشر في الحياة الدنيا وبيان جزائهم في الدار الآخرة، إذ لم يكن ذلك من باب الاعتباط أو الكيفية في اختيار اللفظ وما يناسبه من حركة إعرابية، ولهذا السبب لم نجد لفظة (المتكبرين) قد وردت في القرآن الكريم بعلامة الرفع مطلقًا.

وأخيرًا نقول: الحمد لله الذي جعل القرآن شاهد اللغة ومعيارها الأول وسيد بلاغتها وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش :

1. الأعراف:168
2. الأنبياء:105
3. الجن:11
4. الجن:10-11
5. دلائل الإعجاز:472. وينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز-184/2.
6. أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث/ 26- وينظر: البلاغة والأسلوبية:35.
7. جمالية تحليل الخطاب، دراسة وظيفية لغوية لبدائع الفوائد لابن القيم الجوزية /41.
8. النحويون والقرآن/ 297- وينظر: التفسير والمفسرون في العصر الحديث- 109.
9. الذاريات:25
10. ينظر/ الكشاف -1-9- وينظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد/26-358.
11. الكشاف/ 4-629-وينظر: محاسن التأويل-9-333.
12. آل عمران:39
13. آل عمران :46
14. ينظر: التصوير الفني في القرآن/72-وينظر: جمالية تحليل الخطاب-49.
15. -النساء:69
16. -آل عمران :114
17. -البقرة:180

18 -البقرة:194
19 -البقرة:241
20 -آل عمران:76
21 -التوبة:4
22 -التوبة:7
23 -التوبة:36
24 -التوبة:123
25 -مفاتح الغيب: 1-40
26 -الذاريات:15
27 -الدخان 15
28 -الطور:17
29 -القمر:54
30 -المرسلات:41
31 -النحل:29
32 -الزمر:72
33 - غافر:76
34- لسان العرب:125/14-وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس:11-318
35-ينظر: مدخل إلى علم النص/10
36- الكتاب: 1-37-وينظر:الإيضاح في علوم البلاغة-33/1
37- ينظر: نفسه /2-78-وينظر: المقتضب/1-14
38- نفسه:2-58- وينظر: الخصائص/214.
39- نفسه: 2-235

المصادر والمراجع:

- **لقرآن الكريم.**
- أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث- حسام البهنساوي- مكتبة الثقافة الدينية- ط1- 1998م.
- الإيضاح في علوم البلاغة- محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ)-المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي-الناشر: دار الجيل - بيروت-الطبعة الثالثة.
- البلاغة والأسلوبية-د.محمد عبد المطلب- الهيأة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- 1948م.
- تاج العروس من جواهر القاموس- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)-المحقق: مجموعة من المحققين- دار الهداية.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)-الدار التونسية للنشر - تونس-سنة النشر: 1984 هـ.
- التصوير الفني في القرآن- سيد قطب- دار الشروق- القاهرة- ط16- 2002م.

- التفسير والمفسرون في العصر الحديث عرض ودراسة لأهم كتب التفسير المعاصر-عبد القادر محمد صالح- قدم له د.محمد صالح الآلوسي-دار المعرفة -بيروت لبنان-ط1-2003م.
- جمالية تحليل الخطاب، دراسة وظيفية لغوية لبدائع الفوائد لابن القيم الجوزية(751هـــ) - د. عبد النبي همائي- مطبعة أفريقيا الشرق- المغرب- 2014.
- الخصائص- أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (392هـ) -تحقيق محمد علي النجار- عالم الكتب- بيروت، لبنان- ط2-2010م.
- دلائل الإعجاز-عبد القاهر الجرجاني(471ه)-تحقيق. محمود محمد شاكر-مكتبة الخانجي-القاهرة- ط4-2004م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللّه (745هـ)- المكتبة العنصرية – بيروت- ط1، 1423ه.
- الكتاب- لأبي بشر عمرو بن عثمان سيبويه (180ه)-تحقيق عبد السلام محمد هارون -مكتبة الخانجي- القاهرة- ط4- 2004م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي- دار إحياء التراث العربي-بيروت- تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
- لسان العرب-ابن منظور- تحقيق نخبة من الأساتذة والمتخصصين-مطبعة دار الحديث-القاهرة-2003م.
- محاسن التأويل-محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)-المحقق: محمد باسل عيون السود- دار الكتب العلمية – بيروت-الطبعة: الأولى - 1418 هـ
- مدخل إلى علم النص- زتسيلاف واورزنياك- ترجمة د. سعيد بحيري- مؤسسة المختار- القاهرة- ط1-2008م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)- دار إحياء التراث العربي – بيروت-الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.
- المقتضب: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: 285هـ)-المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة-الناشر: عالم الكتب. – بيروت.
- النحويون والقرآن- د. خليل بنيان الحسون- مكتبة الرسالة الحديثة- عمان الأردن-ط1-2002م.

Abstract:

The relationship between the Arabic language is a strong relationship that began from the beginning of its descent and the thinking of its meaning and the eloquence of the word in it. As we know that the methods of composition in the Holy Quran are very precise and have goals in all its details, the Holy Quran came with new words, meaning, purpose and style. When it comes down to the splendor, eloquence and smoothness of the word and meaning. The Qur'an has become a source of controversy among scholars in the Arabic language and between skeptics and those who are notoriously ignorant of the lack of rhetoric and intent in the Quranic pronunciation and composition. This research is intended to reinforce what scholars and researchers have previously stated in the consolidation and validation of the Qur'anic grammar and the extent of its communication.